القصوى في الانكار ثم انه تعالى لما ذكر قبائح اهل مكة من الاعراض والتكذيب والاستهزاء اتبعه
بما يجري مجرى الموعظة فوعظهم بما نزل بالقرون الماضية بسبب ذنوبهم فقال اولم يروا
كم اهلكنا فانه وعيد لاهل مكة بان الله تعالى قادر على اهلاكهم بذنوبهم وابدالهم
بقوم اخرين يعمرون بلادهم كما اهلك من كان قبلهم ممن له القوة والسعة والبسطة
اكثر واوفر مما هم فلم يغن ذلك عنهم شيئا وانشاء مكانهم قوما اخرين فليعتبروا
بهم فانه لا يتعاظمه ذلك والالتفات من الخطاب الى الغيبة في قوله لكم للتنبيه من الغفلة
والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم قوله والقرن مدة من اغلب اعمار الناس اختار ان يكون القرن عبارة
عن مدة من الزمان ولما لم يتصور اهلاك نفس الزمان قدر المضاف في قوله من قرن فقال من اهل زمان
كقوله كم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية ثم حكى قول من قال ان القرن عبارة عن اهل عصر فيه
نبي او فائق في العلم قلت مدته او كثرت سموا به لاقترانهم في عصر كالكاهل ومنه قوله عليه السلام
خير القرون قرني والقرن بهذا المعنى لما صح ان يتعلق به الاهلاك لا يحتاج فيه الى تقدير المضاف
وقوله مكناهم في الارض في موضع الجر على انه صفة لقرن وعاد ضمير الجمع اليه باعتبار معناه وكلمة
ما في قوله ما لم نمكن لكم نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف واي مكناهم تمكينا
لم نمكن لكم قوله او اعطيناهم من القوى روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في تفسير الاية اعطيناهم
ما لم نعطكم يعني وسعنا عليهم بتكثير ما يتمكنون به من انواع التصرف في الارض كيف شاؤوا يقال
مكنته ومكنت له اذا اقدرته على الشيء باعطاء ما يصح به الفعل من العدد والقوى والالات
والظاهر ان الرؤية في قوله تعالى اولم يروا كم اهلكنا علمية وكم الخبرية مع ما في حيزها سادة
مسد مفعوليها وكل واحد من كم الاستفهامية والخبرية يدل على عدد ومعدود فالاستفهامية
لعدد مبهم عند المتكلم معلوم في ظنه عند المخاطب والخبرية لعدد مبهم عند المخاطب وربما
يعرفه المتكلم وانما المعدود فهو مجهول عند المخاطب في الاستفهامية والخبرية فلهذا احتيج فيهما الى التمييز
المبين للمعدود والتمييز في هذه الاية قوله من قرن جيء بكلمة من داخلة على المميز لما تقرر في النحو
من انه اذا فصل بين كم الخبرية ومميزها بفعل متعد وجب الاتيان بمن لئلا يلتبس المميز بمفعول
ذلك الفعل المتعدي كما في قوله تعالى كم تركوا من جنات وكم اهلكنا من قرية وكم في محل النصب على انه مفعول به

به لاهلكناهم لانه غير مشتغل عنه ومن قرن تمييز قوله اي المطر والسحاب او المظلة يعني ان المراد
بارسال ما فوقهم حال كونهم مدرارا والذي عليهم هو احد الامور الثلثة فان لفظ السماء
يطلق على كل ما علا الشيء وكان فوقه حتى يقال سماء البيت لسقفه ويقال للفلك مظلة لارتفاعه
على الارض وما فيها كانه القى ظله عليها وارسال كل واحد من المطر والسحاب حال كونه كثير الدرور
والدرود على الارض واهلها ظاهر وانما المضاف في وجه كون السماء بمعنى المظلة مرسلة ومدرارا
فاشار الى وجهه بقوله فان مبداء المطر منها كما قيل في قوله تعالى وانزلنا من السماء طهورا ان المطر ينزل
من المظلة الى السحاب ومن السحاب الى الارض فيكون ارسالها عبارة عن عدم امساكها ومنعها عن انزال
ما فيها من المطر والمدرار مفعال وهو من ابنية مبالغة الفاعل يقال امرأة مدرار كثيرة درور
على الحالب ويقال سحاب مدرار ومطر مدرار اذا تتابع منه المطر في اوقات الاحتياج اليه
والمغزار مبالغة الغزير بمعنى الكثير يقال غزر الشيء بالضم يغزر فهو غزير مثل كثر فهو كثير لفظا ومعنى
قوله وارسلنا السماء معطوف على قوله مكناهم في الارض على انه صفة ثانية لقرن وقوله
وجعلنا الانهار صفة ثالثة له معطوف على الصفات السابقة والريف ارض فيها زرع و
خصب يقال رافت الماشية اي رعت الريف قوله فاهلكناهم بذنوبهم من الكفر والعصيان
لم ينفعهم ما هم فيه من العزة وكثرة العدد والعدد والبسطة في الاجسام والاموال بل استأصلهم
الله تعالى وقطع دابرهم فلم لا يعتبر اهل مكة بحالهم وما جرى عليهم بشؤم معصيتهم قوله
يعمرون بلادهم بيان لفائدة ذكر انشاء قرن اخرين بعد اهلاك المكذبين مع ان الكلام مسوق لكفار
مكة وزجرهم عن الكفر روي ان طائفة من منكري النبوة قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا
بكتاب من عند الله واربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله عز وجل
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه الاية اي كتابا عاينوه بابصارهم ومسوه بايديهم وذكر اللمس
دون المعاينة لان اللمس ابلغ في ايقاع العلم من الابصار لاحتمال ان يشكوا فيما ابصروه ويقولوا
انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون بخلاف ما لمسوه فان الملموس لا يجري فيه السحر والقرطاس
صحيفة يكتب فيها تكون من ورق ورق وغيرهما ولا يقال لها قرطاس الا اذا كان مكتوبا والا فهو
طرس وكاغد ولان اللمس يتقدمه الابصار حيث لا مانع ولا يتحقق الابصار فذكر اللمس في قرن ذكرهما معا

Copyright © King Saud University